مبادرة الإصلاح العربي

سلسلة مسارات الشباب

الانتقال إلى مرحلة النضج خلال النزاع:
الشباب الليبي المنسي

أسماء خليفة

عن الكاتبة

أسماء خليفة هي ناشطة حقوقية وباحثة تعمل في مجال حقوق الإنسان والمرأة والشباب منذ عام 2011. وفازت بجائزة لوكسومبورغ في السلام في عام 2016، وعُدَّت ضمن أكثر 100 شخصية شابة أفريقية مؤثرة في عام 2017.

الشكر

تم تنفيذ هذا العمل بمساعدة منحة من مركز أبحاث التنمية الدولية، أوتاوا، كندا.

© 2022 مبادرة الإصلاح العربي | جميع الحقوق محفوظة.

يسمح هذا الترخيص للقائمين بإعادة الاستخدام بتوزيع المواد وإعادة دمجها وتكييفها والبناء عليها بأي وسيط أو تنسيق لأغراض غير تجارية فقط، وطالما يتم الإسناد إلى المنشئ. إذا قمت بإعادة مزج المواد أو تكييفها أو البناء عليها، فيجب عليك ترخيص المواد المعدلة بموجب شروط مماثلة.

الصورة: شباب ليبيون بجانب شاحنة محفوفة بالمخاطر على الكثبان الرملية. © Aydoğan Kalabalık / AA

شباط/فبراير 2022

جدول المحتويات

1 توطئة

2 ملخص تنفيذي

3 مقدمة

4 منهجية الدراسة

5 التوجهات السياسية وأشكال المشاركة: تفسير التطور الذي شهدته مرحلة ما قبل عام 2011، وما بعدها

5 نقاط الانطلاق: التداخل بين الموقع الجغرافي والهوية الاجتماعية والحالة الاجتماعية الاقتصادية والعلاقة بنظام القذافي

6 العنف والإفلات من العقاب والقدرة على التكيُّف: دراسة أثر الحرب على المعتقدات السياسية والشخصية

7 المسارات الشخصية خلال النزاع: دراسة سنة 2014 باعتبارها نقطة تحول حاسمة

7 تعطل الخطط التعليمية والنزوح وانخفاض الفرص

8 الأثر النفسي للحرب

8 تشكُّل مرحلة النضج في ظل النزاع: المرونة بوصفها استراتيجية في الأوضاع المتقلبة

9 بناء السلام: مسؤولية الدولة والمجتمع فيما يتعلق بإعادة التأهيل وتحقيق العدالة والتعايش

10 زيادة مشاركة المرأة في الساحة العامة مقابل استمرار المعايير الجنسانية التقليدية

12 خاتمة

13 الحواشي والمراجع

توطئة

ما هي التداعيات المختلفة على مسار حياة الشاب/الشابة عندما يصل/تصل إلى مرحلة النضج في سياق النزاع؟ ما الذي سيحدث لمخططاتهم المتوقعة للمستقبل -من قبيل التعليم والزواج وأول وظيفة يشغلونها- عندما تضطرب حياتهم بشدة بسبب اندلاع النزاع، وما هي أنواع آليات واستراتيجيات التكيُّف التي يتبناها الشباب لمواجهة هذه العراقيل؟ كيف يسهم الانتقال إلى مرحلة النضج في سياق معياري متقلب -حيث يمكن أن يحدث العنف بكثرة، وأن تشهد الأدوار الجنسانية التقليدية تغيُّراً كبيراً، مع انتشار الصدمات النفسية- في تشكيل القيم والمعتقدات السياسية الشخصية وأيضاً العلاقات الاجتماعية بالمجتمع المحلي وفي إطار الأسرة؟ وبعد بحث عن كيفية إدارة الشباب لحياتهم وبناء أنفسهم عندما يصلون لمرحلة النضج في سياق النزاع، تشير الأدلة أن النزاع يعتبر مصدراً للفرص وأيضاً العراقيل أمام الشباب فيما يتعلق بفرص كسب الرزق وسبل الرفاه والخبرات المكتسبة من المشاركة السياسية ومشاعرهم بالتمكين أو عدم التمكين.

لكن في الوقت نفسه، وجدنا أن مسارات الشباب خلال سياقات النزاع ليست خطية ولا تعتمد كثيراً على هيكل الفرص المتاحة. وبالفعل، فإن كيفية اتخاذ الشباب لقراراتهم الحياتية الخاصة، والعوامل التي تؤثر في صنع قراراتهم، تفسر العمليات المعقدة التي تشتمل على عوامل سياقية محددة وشكل العلاقات الاجتماعية والموقف السياسي والاجتماعي للفرد ضمن ديناميات النزاع، من جملة أمور أخرى. ومن هذا المنطلق، فإن مسارات الشباب في سياقات النزاع متنوعة للغاية ولا يمكن التنبؤ بها في أغلب الأحيان، والأهم هو أنها يمكن أن تتغير أيضاً بصورة متكررة. لكن إذا أردنا فهم الطرق المتعددة بل والمتناقضة التي يؤثر بها النزاع على مسارات الراشدين الشباب، فمن المهم للغاية تحليل هذا التعقيد. وهو أمر مهم أيضاً لفهم الآثار الأوسع نطاقاً على المستوى المجتمعي من ناحية الأنماط المستقبلية للمشاركة السياسية والمعتقدات المتبناة والمواقف المتخذة وأيضاً العلاقات الاجتماعية والجنسانية داخل المجتمعات المحلية والأجيال الواحدة وفيما بينها.

في الفترة بين عامي 2020 و2021، اضطلعت «مبادرة الإصلاح العربي» ببرنامج بحثي موسع لتتبع مسارات الشباب الشخصية في النزاع، مع التركيز بوجه خاص على الشباب الذين وصلوا إلى مرحلة النضج منذ 2011 في ليبيا والعراق وسوريا. وقد قدم هذا البحث -الذي استند إلى 75 مقابلة نوعية شبه منظمة في كل بلدٍ من البلدان التي شملها البحث وحلقات نقاش جماعية مركزة حيثما أمكن- دراسة حول تصورات الشباب وعمليات صنع القرار لديهم والآثار الأوسع نطاقاً من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والشخصية. على وجه الدقة، ركز البحث على مسارات الشباب والآثار الاجتماعية والسياسية الأوسع نطاقاً من خلال إجراء تحليلات شملت ثلاثة مستويات مختلفة. خلال المستوى الدقيق، درس البحث السرديات الشخصية للشباب ووجهة نظرهم في أثر النزاع على البناء الذاتي للشخص.

تضمن ذلك دراسة مصفوفات اتخاذهم للقرار وكذلك تطلعاتهم، واستراتيجيات التكيُّف التي لجأوا إليها، وأيضاً ما الذي جعلهم يشعرون بالتمكين أو عدم التمكين في سياق النزاع. أما على المستوى الوسيط، فقد تناول البحث العوامل السياقية التي تسهم في عملية اتخاذ الشباب لقراراتهم وتحديد هوامش المناورة المتاحة أمامهم، بما في ذلك اقتصادات الحرب وبناء السلام، والبرامج الحالية والمساعدات الخارجية الموجهة للشباب، وتغيُّر هياكل القوة والتسلسلات الهرمية الاجتماعية، والتقلبات المعيارية، مع إجراء تحليل متعدد الجوانب لفهم كيف يمكن لمختلف المراكز الاجتماعية (العرق والدين والنوع الاجتماعي والطبقة الاجتماعية، وما شابه ذلك) أن تُشكِل الاستراتيجيات والسرديات المختلفة. أخيراً، سعى البحث خلال المستوى الكلي والأخير إلى تقييم المحتوى السياسي المتنوع وسرديات بناء السلام المختلفة فيما يتعلق بقيم الشباب وتمثيلهم الفعال وأشكال مشاركتهم، مع التركيز بوجه

خاص على المشاركة السياسية المجدية للشباب وممارسات بناء السلام اليومية وتعزيز المساواة بين الجنسين، إذا تحققت بالفعل وحيثما تحققت.

تتابع الدراسة المطروحة هنا نتائج البحث الذي أجري مع الشباب الليبي، والذي اشتمل على مقابلات ميدانية في عامي 2020 و2021 في محافظات طرابلس وفزان وبرقة. ومن خلال تقييم هذه المقابلات المتعمقة وشديدة الخصوصية، تساهم هذه الدراسة في تقديم معلومات وأفكار جديدة حول كيفية تأثير الانتقال إلى مرحلة النضج في ظل النزاع على اكتساب الخبرات والمهارات لدى الشباب الليبي، وعلى احتياجاتهم وتطلعاتهم، والتغيُّرات التي طرأت على مفاهيمهم وتصوراتهم. وبالتالي، فإن هذه الدراسة تبحث في كيفية سرد الشباب لِمساراتهم الشخصية وتأثير الأحداث التي وقعت منذ 2011 على حياتهم الخاصة، وكيفية فهمهم أيضاً للتطورات السياسية في البلاد وطبيعة النزاع نفسه.

تبحث الدراسة في ماهية العوامل (الأخلاقية أو الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الشخصية، أو غير ذلك) التي تحفزهم على اتخاذ القرارات أو تقودهم لاتخاذها، وكيف ينظرون إلى الفرص المتاحة أمامهم والعراقيل التي تعترض طريقهم، وكيف يعثرون على الفرص أو يخلقونها لأنفسهم. تستقصي الدراسة أيضاً في كيفية تغيُّر المعايير الجنسانية والأدوار الجندرية التمثيلية بسبب النزاع وتأثير تلك التغيُّرات على علاقاتهم الاجتماعية وتطلعاتهم للمستقبل. وأخيراً، تسلط الدراسة الضوء على موقف الشباب الليبي الشخصي تجاه العنف واللاعنف، وما الذي تعنيه فعلياً مفاهيم مثل السلام والعدالة والمصالحة لهم، وكيف تبدو على أرض الواقع، ومدى إدراك الشباب للتمثيل الفعال في حياتهم والأدوار التي يسعون إلى الاضطلاع بها خلال عملية إعادة بناء المجتمع الليبي في مرحلة ما بعد النزاع.

عند استكشاف هذه الموضوعات المتنوعة، فإن لهذه الدراسة أهمية كبرى في مجال السياسات. يواجه الشباب أشكالاً خاصة من الهشاشة وعدم الاستقرار تجعلهم من بين أكثر الفئات السكانية ضعفاً في الانتقال من النزاع وإعادة الإعمار،[1] ولكنهم في الوقت نفسه مكون ديموغرافي رئيس في الحفاظ على الاستقرار والسلام وفي قيادة العمليات الأوسع نطاقاً في التحول من النزاعات. ومع هذا، فإن الشباب بوصفه فئة فرعية خاصة من السكان غالباً ما لا يدرسه صناع السياسات بشكل كافٍ ولا يعتنون بالخدمات المقدمة لهم، وكذلك أصحاب المصالح الخارجيين الذين ينفذون برامج الإغاثة في مرحلة النزاع ومراحل التعافي بعد انتهاء النزاعات. وهناك اهتمام كبير بالأطفال (أي أولئك الذين هم في سن المراهقة أو أصغر)، نظراً للمقاربات المرتكزة على الحقوق، المعتمَدة على الساحة الدولية، ووجود أُطُر واسعة النطاق للسياسات ومنظمات ترعاهم مثل اليونيسيف. في الوقت نفسه، فإن العمليات الانتقالية في سياقات ما بعد النزاع عادة ما يهيمن عليها الكبار (مثل النخب الإقليمية والكبار في القرى، وغيرهم) الذين يحدّون من إسهامات الشباب، لا سيما في العمليات السياسية. ونتيجة لذلك، فقد يجد الشباب أنفسَهم مستبعَدين بصورة مضاعفة. وبالقدر ذاته من الأهمية، فإن المفاهيم الخطابية للشباب في سياقات النزاع عادةً ما تُفهَم داخل أُطُر وتعريفات أيديولوجية تدفع بخطوط معينة للبرامج قد تكون منفصلة عن تجاربهم المَعيشية وحاجاتهم وتصوراتهم. فتميل الخطابات السائدة المحيطة بالشباب في سياقات النزاع إلى التركيز على الشباب بوصفهم استثمارات تنموية أو تهديدات أمنية أو أدوات للتغيير.[2] وهذه الخطابات توجِه، إلى حد كبير، أنماطَ التدخل التي تقوم بها جهات فاعلة خارجية تسعى إلى تخفيف حدة النزاع أو تعزيز عملية بناء السلام. ومع ذلك، قد تكون هذه التدخلات والتعبيرات مَشوبة بمواقف أبوية وبفرض معايير وتوقعات اجتماعية وثقافية منفصلة عن تصور الشباب أنفسِهم لحياتهم، وعن تفسيراتهم لواقعهم وسياقهم، وعن طموحاتهم لأنفسهم ومجتمعاتهم.

وتسهم «مبادرة الإصلاح العربي»، من خلال نشر هذه الدراسة، في تكوين معارف جديدة حول الشباب الليبي في سياق ما بعد نزاع 2011، تنطلق مما يروي الشباب أنفسهم ويشقون مساراتهم وخياراتهم وتطلعاتهم وتفسيراتهم، ومن تفاوت الخبرات المعيشية للشباب. وفي المقابل، يمكن استخدام هذا البحث القائم على الأدلة والمنبثق من الواقع من أجل تكييف السياسات والبرامج والاستجابات المصممة للشباب ومعهم، والتي يصممونها هم، لضمان مراعاة مختلف الحقائق حول الشباب الليبي اليوم، ولضمان عدم إهمالِهم في مرحلة ما بعد النزاع.

سارة ان رانك
نائبة المدير، مبادرة الإصلاح العربي

ملخص تنفيذي

تسعى هذه الدراسة إلى فهم كيف تأثّر الانتقال إلى مرحلة النضج بالنسبة للشباب الليبي بسياق عشر سنوات من النزاع. فمن خلال بحث نوعي متعمق أُجريَ مع 75 شاباً وشابة من ليبيا في عامَي 2020-2021، تتناول الدراسة عمليات صنع القرار وأنماط الفرص والعوائق التي تواجه الشباب من جهة التعليم وكسب العيش، وتأثير الحرب على آرائهم السياسية ومشاركتهم في العملية السياسية، وفهمهم للسلام والأمن، وكيف غيّرت الحرب المعايير والعلاقات الجنسانية.

وجدت الدراسة أن العام 2014 يمثل العام المحوري من جهة مساراتهم الشخصية وفهمهم النقدي لديناميات الحرب والسلام وشعورهم الشخصي بالرفاه والأمل في المستقبل. فيما يتعلق بطرق كسب العيش والعمل، تكشف مسارات الشباب عن دينامية معقدة تأتي فيها الفرص بثمنها أو مع عواقب تؤدي إلى نتائج عكسية. فمن ناحية، أدى النزاع في ليبيا إلى تفكك البنى القمعية القديمة، وفي غيابها تظهر فرص لبذل جهود أكثر استقلالية وإبداعاً من أجل تحسين سبل العيش. بالنسبة لجميع المشاركين، على سبيل المثال، اتسع الخيار المفضل لمجال الدراسة نتيجةً لانفتاح المجتمع والمجال السياسي في العام 2011. وبالمثل، شهدت ديناميات الضرورة منذ 2011 ظهور ثقافة جديدة للمبادرة وريادة الأعمال تتسم بالابتكار والمرونة. ولكن في الوقت نفسه، فإن الدمار الناجم عن الحرب يعني انقطاع سبل التعليم ومساراته، وعدم وجود البنية التحتية لاستدامة ريادة الأعمال وتنظيم المشروعات لرواد الأعمال الشباب، من قبيل النظام المالي القوي والإطار القانوني التشغيلي.

وفيما يتصل بالآراء السياسية والمشاركة في العملية السياسية، يرى العديد من الشباب أنهم مع تأكيدهم على أن انتفاضة 2011 مثّلت صحوة سياسية بشكل ما، مما خلق اهتماماً جديداً بالسياسة والعمليات السياسية، لكنهم يرون أن الانحدار إلى الحرب كان له تأثير سلبي شامل تقريباً على نظرتهم للسياسة والسياسيين. فانعدام الثقة العميق في السياسة، وانتشار الاعتقاد بوجود عمق منهجي للفساد، قد تحولا إلى انتشار اللامبالاة تجاه المشاركة والعمليات السياسية الرسمية. ولكن في الوقت ذاته، فإن الشباب الليبي الذي نضج في سياقٍ يتسم بالنزاع لديه رؤى دقيقة فيما يتعلق بكيفية تحقيق السلام وحول المسؤوليات المرتبطة بعملية بناء السلام هذه على مختلف المستويات. وهذا يشمل ضرورة إعادة التأهيل وتعزيز التسامح واحترام الاختلافات وقيم التعايش؛ وكلها أمور يجب أن يقوم بها كلٌّ من الدولة والمجتمعات نفسها أيضاً، وهي الأهم. ولكن من أجل أن يكون هناك سلام حقيقي، يؤكد الشباب على ضرورة وجود العدالة كشرط سابق.

وفيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية والمعايير الجنسانية، كان للنزاع تأثير ثنائي على كل من عمليتَي تحدي الاستعارات التقليدية للذكورة والأنوثة وتعزيزها. فنتيجة للتراجع الحاد في الرفاه الاقتصادي، وجدت الشابات أنفسهن في وظائف جديدة، بمسؤوليات جديدة، وفي مساحات عامة جديدة تتعارض مع المعايير الجنسانية التقليدية. ولكن في الوقت ذاته، عزز النزاع أيضاً من المعايير المتعلقة بالذكورة ودور الرجل في الأسرة والمجتمع. ونتيجة لذلك، ومع إقرار الشباب المشاركين في هذه الدراسة بالتحولات العميقة في الأدوار والعلاقات الجنسانية، فإن مدى اعتبار ذلك أمراً إيجابياً يجب الحفاظ عليه في مرحلة ما بعد النزاع يظل أقل يقيناً بكثير لدى هؤلاء الشباب.

وجدت الدراسة، بشكل عام، أن الشباب -الذين يواجهون صدمات نفسية عميقة، ويعيشون في حالة دائمة من عدم اليقين وعدم الاستقرار- ليس لديهم سوى قليل من الأمل في المستقبل، وقد تقلصت قدرتهم على التخطيط لحياتهم. فالاستراتيجية الأكثر موثوقية التي اعتمدوها هي المرونة والقدرة على التكيف، حيث ينظر معظمهم إلى الحياة خارج ليبيا باعتبارها الخيار الحقيقي الوحيد للمستقبل. بعبارة أخرى، يسعى الشباب لبناء حياتهم في مكان آخر. وعدم ثقتهم في السياسة وقدرتهم على إحداث تغيير يعني أن القضايا الأساسية المتعلقة بحل النزاع وبناء السلام -مثل الإصلاح الاقتصادي والسياسي- ستظل مشكلات قائمة دون أن تتاح لجيل الشباب فرصة المشاركة الإيجابية في إعادة بناء البلاد. لقد تخلص هذا الجيل الجديد من عقلية الاعتماد على الدولة فقط، وصار، في المقابل، يضع ثقته في السعي للحصول على تعليم جيد وفرص عمل مجزية أكثر على المستوى الشخصي، إلا أنهم يدركون تمامًا أنهم يسعون للدراسة أو العمل في بيئة معقدة وصعبة للغاية، بالإضافة إلى عدم وجود سياق أوسع يمكن أن يدعمهم. إن الشعور السائد لدى الشباب في ليبيا اليوم هو أنهم ليسوا في أمان، ولا يمكنهم أن يرسخوا جذورًا عميقة لأحلامهم، خوفاً من انهيار كل شيء.

مقدمة

بالنسبة للشباب في ليبيا اليوم، تغيرت الحياة بشكل كبير منذ عام 2011، حين اندلعت عدة انتفاضات في شمال أفريقيا والشرق الأوسط. ففي حين أدت الاحتجاجات السلمية في تونس ومصر المجاورتين -في الغالب- إلى تغيير النظام السياسي، أدت الاحتجاجات في ليبيا إلى انتشار العنف بسرعة كبيرة. ففي 15 شباط/فبراير 2011، اعتقل محامي ضحايا مجزرة أبو سليم، وقد دفع ذلك بعض النساء إلى الاحتجاج أمام محكمة بنغازي. وبعد فترة وجيزة من اندلاع الاحتجاجات، ظهرت تقارير عن أعمال عنف ضد أقسام الشرطة، مما أدى إلى انتقام ساحق من المتظاهرين. وكانت المواجهة بين المتظاهرين والشرطة في بنغازي نقطة الانطلاق التي اندلع على إثرها مزيد من الاحتجاجات في جميع أنحاء البلاد. وشكّل المواطنون والمنشقّون عن نظام القذافي جبهة معارضة في بنغازي، وأنشؤوا «المجلس الوطني الانتقالي» في 27 شباط/فبراير 2011. وبحلول آذار/مارس 2011، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قرارَيه رقمَي 1970 و1973 لحماية المدنيين الليبيين. وبموجب مواد القرار الأخير، بدأ الناتو غاراته الجوية ضد نظام القذافي (Landen Garland 2012). استمر النزاع المسلح في ليبيا رسمياً ثمانية أشهر، حتى انتهى بالقبض على معمر القذافي وقتله في تشرين الأول/أكتوبر 2011.

لكن النزاع لم ينته أبداً على أرض الواقع؛ فقد شهدت البلاد أعمال عنف واسعة النطاق على المستويين المحلي والإقليمي، وبين المجموعات العرقية. لكن على الرغم من ذلك، كان هناك تصور سائد في المدن الرئيسية في البلاد عن وجود مساحة متنامية لحرية التعبير والصحافة والناشطية المدنية. فإحدى النتائج الإيجابية لعام 2011 هي، في الواقع، عودة ظهور المجتمع المدني الليبي بعد أكثر من أربعة عقود من القمع. ولا يزال الشباب يسيطرون على هذه المساحة، لكنها بدأت تتقلص خلال السنوات القليلة الماضية.

فالوضع في البلاد الآن يسير من سيء إلى أسوأ؛ حيث تشهد البلاد انهياراً عاماً للبنية التحتية، بالإضافة إلى فشل الحكومات في تقديم الخدمات الأساسية لمواطنيها. (تقرير Libyans at Risk, 2020). إضافة إلى ذلك، غالباً ما تُغلَق الجامعات والمدارس بسبب الحرب أو بسبب استهداف المباني بالقصف. وتعاني البلاد أيضاً من معدل تضخم مرتفع، وتواجه البنوك نقصاً في السيولة؛ ولذا يقضي الليبيون الآن أياماً في طوابير الانتظار للحصول على مقدار ضئيل من أموالهم. لقد أثر الوضع الاقتصادي بشكل كبير على فرص العمل، ومن ثم تواصِل معدلات البطالة الارتفاع.

هذا هو واقع الشباب في ليبيا والسياق الذي يدخلون فيه مرحلة النضج. وقد سعينا خلال إجراء هذه الدراسة إلى فهم تأثير هذه الوقائع على حياة وقيم وتطلعات الشباب الليبي؛ وما هو تأثير النزاع على الخبرات التي اكتسبوها والفرص والقيود التي يواجهونها، وكيف أثر على مسارات معيشتهم وقيمهم السياسية وعلاقاتهم الاجتماعية؟ وعلى نفس القدر من الأهمية، ركزنا على ما يمكننا استخلاصه حول موقع الشباب الليبي اليوم، من حيث الاندماج السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ورؤيتهم لمستقبلهم ومستقبل بلدهم، والأدوار التي يرغبون في تأديتها في هذا أو ذاك.

تكشف هذه الدراسة -التي تعمقت في سبر أغوار مخاوف الشباب الليبي وتطلعاتهم- عن عدم قدرة هؤلاء الشباب على التخطيط للمستقبل، نتيجة عدم الاستقرار وتقلبات النزاع. وتتناول الدراسة أيضاً أسباب لامبالاتهم السياسية، بما في ذلك عدم ثقتهم، على الإطلاق، في النخب السياسية، وحقيقة عدم وجود نظام سياسي قابل للحياة ليكونوا جزءًا منه. وتكشف الروايات التفصيلية والشخصية حول الدمار أن الحرب قد غيرت كل شيء بالنسبة لهم، لا سيما الحرب في عام 2014. وبشكل عام، أدى دخولهم مرحلة النضج في سياق النزاع إلى تغييرات جذرية في حياتهم، وغالب هذه التغييرات كانت نحو الأسوأ، ولكن كان هناك أيضاً بعض النتائج الإيجابية غير المباشرة، تمثلت -بالنسبة للشباب محل الدراسة- في أنهم أصبحوا أكثر استقلالية واعتماداً على الذات، بجانب اكتساب الصلابة في مواجهة التحديات. أما فيما يتجاوز الظروف المعيشية، فقد غيّرت الحرب أيضاً المعتقدات الأساسية للشباب حول العنف وتصورهم لشكل المجتمع. ويؤثر أيضاً سياق النزاع على قراراتهم اليومية، ويدفعهم إلى الحفاظ على المرونة اللازمة للتكيف مع بيئتهم. ومع أن الشباب محل الدراسة يشعرون بالعجز في مواجهة حالة اللايقين هذه، إلا أنهم يحاولون السيطرة وتحقيق خططهم وتطلعاتهم القصيرة المدى من خلال دفع أنفسهم إلى أن يكونوا منتجين ومتعلمين.

منهجية الدراسة

تستند هذه الدراسة إلى بحث نوعي متعمق مع الشباب الليبي، أجري بين عامي 2020-2021. تجمع الدراسة بيانات أكثر من 75 مقابلة شبه منظمة[3] مع شباب من الجنسين من مختلف المناطق الرئيسية الثلاث في ليبيا -طرابلس وفزان وبرقة- أجريت من خلال مجموعة من المقابلات الشخصية والهاتفية. وكان الدافع وراء اختيار هذه المناطق هو الفهم المسبق أنه ليس هناك نزاع واحد متجانس في ليبيا، بل ديناميات نزاع مختلفة -بجانب التطورات التاريخية والسياسية- هي التي تشكل التجارب المعيشية للشباب حسب موقعهم الجغرافي.[4] وقد كان المشاركون في هذه الدراسة في أعمار مختلفة من فترة المراهقة خلال عام 2011، حيث تراوحت أعمارهم بين 10-28 عاماً، وكان معظم الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات بين 14 و18 عاماً في ذلك العام. وقد وقع الاختيار على هذه الفئة العمرية عمداً، لتحقيق تتبع أفضل للأشخاص الذين دخلوا مرحلة النضج منذ عام 2011، وهو ما يتماشى مع الغرض من هذه الدراسة. أما بالنسبة للتوزيع الجندري فهو 45 مشارك و30 مشارِكة.

أجرى المقابلات فريق من أربعة باحثين ليبيين. ومن ثَمَّ تم تدوين المقابلات وتحليلها على نحو استقرائي وتواصلي. وتمحور دليل المقابلات شبه المنسق حول مجموعة من المواضيع: الحياة قبل النزاع، والتصورات المتعلقة بالنزاع عام 2011، والحياة أثناء النزاع، والتطلعات المستقبلية، والآراء تجاه السلام والأمن، والعلاقات بين الجنسين. وجهت هذه المواضيع عملية التحليل السردي لاكتشاف القصص والحكايات ذات الصلة بأسئلة البحث. واستُخدام برنامج التحليل الإحصائي «أطلس تاي» (Atlas.ti) لإيجاد أنماط ذات صلة بالمواضيع المحددة بالفعل عبر السن، والموقع، ونوع الجنس. وكذلك استخدم البرنامج أيضاً لإبراز القصص التي رويت في سياق الإجابات وتفسيرها.

من خلال البرنامج، أُنشئ خمسون معياراً من البيانات. وهذه المعايير المتصلة بمواضيع الاستبيان وغيرها من العناصر الأخرى مثل الأثر النفسي للحرب والتعرض المباشر للعنف، نجمت مباشرة من التجارب المشتركة التي عايشها المشاركين في الدراسة. ويوضح الشكل التالي عدد المشاركين الذين أجابوا على كل معيار.

التوجهات السياسية وأشكال المشاركة: تفسير التطور الذي شهدته مرحلة ما قبل عام 2011، وما بعدها

نقاط الانطلاق: التداخل بين الموقع الجغرافي والهوية الاجتماعية والحالة الاجتماعية الاقتصادية والعلاقة بنظام القذافي

قبل عام 2011، وُجهت العلاقة بين الشباب والمشاركة السياسية إلى حد كبير من خلال الأنشطة المدرسية الرسمية. والواقع أنه بالنسبة للطلاب الأكبر سناً من المشاركين في المقابلات، ارتبطت الأنشطة السياسية قبل النزاع بالمدارس، مثل الاتحادات الطلابية وأسبوع الطلاب، وهو حدث سنوي يشمل عدد من المعارض والفعاليات بهدف تشجيع الطلاب على المشاركة في الأنشطة السياسية المؤيدة للقذافي. نظمت المدارس هذه الأسابيع عادةً بالتعاون مع اللجان الشعبية الخضراء، وهي هيئة تنفيذية تابعة للحكومة كانت بمثابة الوسيط بين الشعب والقيادات الحكومية، وقد كانت منتشرة على نطاق واسع في مختلف المناطق المحلية (فانديفال، 2006). وعلى هذا النحو، كانت الأسابيع الطلابية جزءاً من التلقين السياسي الذي اعتمده نظام القذافي مع الطلاب منذ الصغر.

أبدى المشاركون، وفقاً لمواقعهم الجغرافية، وجهات نظر متباينة فيما يتعلق بمشاركتهم في هذه الأنشطة السياسية في عهد القذافي. ففي حين أعرب البعض أن عائلاتهم لم تُشجعهم على المشاركة، أو طلبوا منهم على الأقل ألا يشاركوا بفاعلية، قال آخرون إن تلك الأنشطة شكلت كيفية فهمهم للنظام السياسي. غير أنه لا يمكن ببساطة تفسير هذه الاختلافات على أساس جغرافي. فقد تحدث شخصان من المشاركين من بنغازي -التي لها تاريخ حافل من المعارضة لنظام القذافي- عن تجاربهما مع المعارضة في المدرسة فيما يتعلق بالنظام السياسي في ليبيا وكيف كان هذا النظام قمعياً ومسيطراً على حياتهما. ومما يعزز هذا الرأي انتقادهما لنظام التعليم ونقص الخدمات وضعف البنية التحتية.

وفي الوقت نفسه، على الرغم من أن بعض المشاركين من الجنوب أعربوا عن تأييدهم للنظام بسبب مواقف عائلاتهم، ومن ثَمَّ سُمح لهم بالمشاركة في الأنشطة المدرسية ذات التوجهات السياسية، فقد اتسمت تجارب الطلاب من غرب ليبيا بأنها متفاوتة ما بين الدعم والمعارضة. تسلط هذه الاختلافات الضوء على تأثير التصورات العائلية والتفاعل مع السياسة على المشاركين منذ الصغر. بيد أن البحث كشف أيضاً أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية أثرت في هذا الرأي اعتماداً على كيفية تأثر السكان أو عدم تأثرهم بسياسات النظام السابق. وقد بدا ذلك جلياً خلال المقابلات التي أجريت مع المشاركين من المناطق الشرقية والجنوبية، الذين أوضحوا كيف أثر التهميش السياسي والاقتصادي على تصورات عائلاتهم ودرجات دعم النظام. [5]وعلى نحو مماثل، فقد ارتبطت محاكمة المعارضين السياسيين -التي امتدت في كثير من الأحيان إلى عائلاتهم- ارتباطاً مباشراً بالكيفية التي وصف بها المشاركون في المقابلات تطلعاتهم وتصوراتهم لما حدث في البلاد عام 2011.

من بين 40 شخصاً أجريت معهم المقابلات ممن تحدثوا عن تطلعاتهم في 2011 وما توقعوا حدوثه قبل اندلاع أعمال العنف في مختلف أنحاء البلاد، كان 35 منهم يأملون في أن يُحدِث ذلك تغييراً هيكلياً، وأن تصبح ليبيا دولة ديمقراطية، وأن يؤدي ذلك إلى بناء الدولة. ترتبط هذه التطلعات الإيجابية جميعها بالأسباب الجذرية لاستيائهم من النظام السابق. علاوة على ذلك، ردد العديد من المشاركين ما كان يجري تداوله على وسائل التواصل الاجتماعي آنذاك: أن ليبيا بدون القذافي ستكون مثل دبي، التي ينظر إليها كثيرون باعتبارها رمزاً يُمثل فرصاً اقتصادية أفضل، وبنية تحتية قوية، وحياة من الترف. وبالنسبة للمشاركين الذين ينحدرون من مختلف المجموعات العرقية التي تتألف منها ليبيا، مثل الأمازيغ والتُبو، يمكن الوقوف على أسباب مختلفة لتطلعاتهم، وعلى وجه الخصوص تعرضهم للتهميش والممارسات التي تبناها القذافي على مدى 40 عاماً الرامية إلى تجريدهم من هويتهم والتي استهدفت مجتمعات السكان الأصليين. أما بقية المشاركين فقد أجابوا إما أنهم لم تكن لديهم رؤى بشأن ليبيا بعد 2011 تتجاوز الاستقرار أو أنهم كانوا يأملون أن يسيطر القذافي على الموقف خوفاً من انعدام الأمن.

غير أن هذه التصورات تغيرت تغيراً جذرياً عندما اندلعت أعمال العنف. من بين المقابلات، ثمة روايات متضاربة تصف الأحداث. ففي حين أن العديد من المشاركين وصفوا 2011 بالثورة، وصفها آخرون بأنها تمرد أدى إلى حرب أهلية. تأكد هذه الروايات المتباينة أنه حتى بعد مضي عقد من الزمان، لم يتوصل الشباب الليبيون بعد إلى توافق بشأن ما حدث عام 2011.

«لأنني كنت أنتمي إلى أقلية عرقية (التُبو) كانت لدينا مشاكل هائلة مع الآخرين أو الأغلبية. ففي عام 2008، كان هناك تمرد، وقمعه القذافي سريعاً، بيد أن المجتمع العربي لم ينس واستمر في النظر إلينا بازدراء. لذا، لم يكن من الممكن أن يحظى التُبو بهذه الفرص العديدة للدراسة أو العمل». **شاب من مدينة الكفرة**

وعلى غرار الآراء والتطلعات السياسية، تباينت المشاركة عام 2011 بحسب الموقع الجغرافي ونوع الجنس للمشاركين في المقابلات. ففي شرق ليبيا، شارك الشباب في المواجهات المسلحة والاحتجاجات السلمية، بينما أعربت المشاركات عن أنهن لم ينضممن إلى الاحتجاجات إلا بعد «تحرير» مناطق معينة. وهذا يشير أيضاً إلى الاختلافات بين الأجيال، وذلك لأن أول احتجاج حدث في بنغازي كان بقيادة النساء في 15 شباط/فبراير 2011 (هيلسوم، 2012). وعلى نحو مماثل، أظهر المشاركين في المقابلات من غرب ليبيا نمطاً مماثلاً من المشاركة ولكن مع العديد من الخلافات والنزاعات نظراً لأن تحرير بعض البلدات والمدن استغرق شهوراً. أما في جنوب ليبيا، فقد مر المشاركين بتجربة مميزة في اندلاع النزاعات العرقية، الأمر الذي حد من قدرة الناس على المشاركة، كما يتضح من هذا الاقتباس:

«لم أنضم إلى أي حركة. ولم أعتقد أنه هناك فرص للتطوع مع أي حزب سياسي أو أيديولوجية معينة وكما هو معروف في مدينة سبها، أي نشاط كان لصالح قبيلة معينة وما إلى ذلك، لكنني كنت جزءاً من حركة

الكشافة لأنها تخدم الناس، فضلاً عن أنها ليست حركة سياسية وتعمل من أجل المصلحة العامة». **شابة من مدينة سبها**

روى المشاركون تفاصيل أكثر حول اندماجهم ومشاركتهم بعد عام 2011. وذكر بعضهم وصفاً مستفيضاً عن خبراتهم المكتسبة بصفتهم مقاتلين في الحملات العسكرية المختلفة، ومتطوعين في المشروعات الإنسانية، وبوصفهم أطرافاً فاعلة في المجتمع المدني. تكشف هذه الإجابات عن مؤشر واضح لأمرين. الأول، وجود مساحة حرة ومفتوحة في الفترة بين عام 2011 وحتى نهاية عام 2013. بالنسبة للعديد من المشاركين في الدراسة، فبالرغم من اندلاع نزاعات عنيفة في ذلك الوقت، فقد كان لديهم شعور بالتفاؤل والأمل في إمكانية إعادة بناء الدولة. أما الأمر الثاني فيتمثل في الفكرة السلبية المشتركة عن الحركات المجتمعية. ذكر بعضهم أنهم جُندوا وحُشدوا للمشاركة في تلك الحركات، في حين وصف قلة منهم مشاركتهم بأنها انضمام للحركة. وبالفعل، رداً على سؤال لاحق حول ما إذا كانوا سينصحون شخصاً بالانضمام لأيّ حركة اجتماعية أم لا، أجاب أغلبهم بأنه يجب على الناس أن يكونوا أكثر حرصاً وتشككاً تجاه تلك الحركات. فسَّر المشاركون إجاباتهم بأنه ينبغي على الأفراد والجماعات البحث عن الدوافع وراء أهداف وأنشطة تلك الحركات الاجتماعية، وأن ينأوا بأنفسهم عن الأهداف التي تحركها دوافع سياسية لأنه يمكن لجهات خارجية الاندساس فيها من أجل تنفيذ أجندات أجنبية. تظهر هذه الأقوال مستوى من الوعي فيما يخص ديناميات الجماعة وترتبط بصورة مباشرة بما حدث خلال عام 2011 وعواقب تلك الأحداث.

العنف والإفلات من العقاب والقدرة على التكيُّف: دراسة أثر الحرب على المعتقدات السياسية والشخصية

بالنسبة لجميع المشاركين في هذه المقابلات تقريباً، تمخضت تجربة الحرب عن دروس مستفادة وآراء قائمة على رؤى ثاقبة وعميقة فيما يخص العنف. حتى من شاركوا في القتال أعربوا عن شكهم في أن يكون اللجوء إلى العنف هو الحل، إلا في حالة التصدي لمتطرفين مثل داعش. إضافة إلى ذلك، فإن أحد الدروس البارزة المستفادة بالنسبة لبعض المشاركين في المقابلات كان مرتبطاً بديناميات العنف المجتمعي وإفلات مرتكبي تلك الأفعال من العقاب. ويرون أن هذه المشكلة كانت خطأ مشتركاً ارتكبه جميع الأطراف، حتى أولئك الذين لم يحملوا أسلحة لكنهم أيضاً أيدوه وسمحوا بحدوثه:

«لقد مكَّن هذا الوضع الكثيرين من حمل السلاح ومَنَحَهم الحق في محاولة حل القضايا والمشكلات حسبما يتراءى لهم، مما خلق هذه البيئة من ادعاءات الأحقية والتبرير التي أدت في النهاية إلى الإفلات من العقاب. ثم استمر مستوى الأخطاء في التفاقم عبر السنين، وقد سمح له الناس بذلك، وهذا درس تعلمته من هذه الحرب». **شابة من مدينة بنغازي**

«إذا كان هناك أي شيء تعلمته من الحرب فهو عدم دعم أي حركة مسلحة». **شاب من مدينة طرابلس**

في الحقيقة، يتجلى في الاقتباس التالي أحد أسباب حلقة الانتقام المستمرة في كافة أرجاء البلاد، مما يوضح أنه من الصعب إنهاء السردية الجماعية للصدمة النفسية دون اتخاذ إجراءات شاملة وواجبة على صعيدي العدالة والمصالحة:

«نعم، ربما تكون أحد الأشياء التي تغيرت تغيراً جذرياً هي أن العنف لم يعد مقبولاً بأي حال من الأحوال. فالعنف لا يولد إلا مزيداً من العنف. دعني أستفض في الحديث عن ذلك من خلال أفكار وأمثلة، ثمة مدن صغيرة مثل مدينة المرج كانت توصف بأنها موالية للقذافي. لقد تحملت تلك المدن أقصى درجات الظلم، مثلما حدث في مصراتة. وكلاهما يحمي مبادئ أو أسباب الحروب التي عانوا منها وانتصروا فيها. ومن ثم، فهم يرون أن وقف أو عدم استمرار دائرة العنف هذه يعد خيانة لمن ماتوا. وهكذا باتوا عالقين بطريقة ما في تلك الدائرة، لكن هذا تراجع كثيراً مع مرور السنين». **شاب من مدينة بنغازي**

بالرغم من ذلك، خلال المقابلات، ثمّة نمط ثابت من الازدواجية يبرز عند الحديث عن النزاع وكيفية تأثيره على حياة المشاركين في المقابلات. فبينما أعرب جميعهم عن التحديات الكبيرة والدمار الشديد الناجم عن العنف والافتقار للشعور بالأمن والأمان، فقد أكدوا أيضاً أنهم قد اكتسبوا الاستقلالية والقوة:

«إن الشيء الإيجابي الذي جنيناه من الحرب هو أننا أصبحنا أكثر استقلالية. لكن ثمة أيضاً فساد ودمار». **شاب من مدينة سبها**

«على المستوى الشخصي، جعلتني الحرب أكثر صلابة، وتعلمت أشياء لم أكن لأتعلمها إذا لم تقع الحرب، مثل كيفية التصرف وكيفية جعل تفكيري ينشغل بأمورٍ أخرى في أحلك الأوقات. كما علمتني الحرب أيضاً مدى أهمية التعاطف مع الأشخاص المحيطين بك، وأهمية وجود الأشخاص حولك، على الرغم من كل ما حدث». **شاب من مدينة سبها**

«تغيرت حياتي تغييراً جذرياً في عام 2011، لا سيما على الصعيد الثقافي والفكري، عندما تطرق الأمر للفلسفة وعالم الأفكار العظيمة. أرى أن جميع الأنشطة والخبرات المدنية قد أثرت في شخصي تأثيراً إيجابياً، على الرغم من التحديات والظروف التي جاءت من خلالها تلك الخبرات. لقد تعلمت أنه لا وجود لمفهوم الأبيض والأسود، أو نتيجة واضحة وصريحة لحدث ما. وبمجرد أن استوعبت ذلك الأمر، أدركت مفهوم التعاطف. يأتي الشعور بالتعاطف مع الآخرين عندما أضع نفسي مكان أولئك الأشخاص في محاولة لفهم واستيعاب الأسباب وراء اتخاذهم مثل هذه الاختيارات. كل هذا النضج الشخصي لم يكن ليحدث إذا لم أعش أحداث عام 2011». **شاب من مدينة بنغازي**

بالمثل، تحدث عدد كبير من المشاركين في المقابلات عن تأثير الحرب على صحوتهم السياسية. ذكر 44 مشاركاً أن معرفتهم السياسية كانت قليلة للغاية قبل عام 2011، حتى أولئك الذين شاركوا في أنشطة سياسية طلابية ذكروا أن هذه الأنشطة لم تعزز معرفتهم السياسية. كان جميع الطلاب في ليبيا يدرسون السياسية من سن الثامنة قبل عام 2011. وكانوا يرون أن الدولة تقع تحت وطأة حكم شخص واحد وعصبة من السياسيين الفاسدين الذين يتملكهم الشعور بالرضا عن أنفسهم. أعرب العديد منهم أنهم إما لم يتلقوا أي تشجيع من آبائهم لمشاركة آرائهم الناقدة أو طرح أي أسئلة، أو أنهم اكتشفوا بأنفسهم أنه لا مجال لطرح مثل هذه الأسئلة.

«إن خبرتي بالأمور السياسية قبل عام 2011 كانت منعدمة، لكن ثمة أشياء قليلة أدركتها بعد الثورة. بالتأكيد كنت على دراية بهيكل اللجان الخضراء وقد استقينا كل هذه المعلومات من خلال الكتب المدرسية وملاحظات الاجتماعات التي أُجبرنا على حضورها ضمن الأنشطة المدرسية. أتذكر عندما وقفت في إحدى هذه المحاضرات وأعربت عن رأيي الناقد حول شيء لم أجده منطقياً بالنسبة لي. اكتشفت بعد ذلك أن ما فعلته يمكن أن يكون فعل في غاية الخطورة.و أن من يفعل ذلك قد يختفي أو يُقبض عليه.

«أنظر الآن للأمور السياسية باعتبارها العجلة التي تحرك أفضل المصالح المشتركة بين الجماعات، فجميع الأحزاب، حتى تلك التي لا تبدو أنها في وفاق، لديها مصالح مشتركة. ولا يمكن العمل كمجتمع دون جمع كل هذه الآراء، وإلا سيستمر النزاع. إذا كان هناك شخص ما يرغب في عمل إصلاحات وإحداث تغيير على المستوى المحلي، في بلدته، فنعم، أحب أن أكون هذا الشخص وأن أصبح ناشطاً سياسياً في مدينتي». **شاب من مدينة بنغازي**

«كانت السياسة قبل 2011 مقتصرة على فئة معينة، في حين تم إقصاء البقية. لكن الوضع تغيّر الآن، حتى في ظل كل هذه التحديات والصعوبات، لا يزال بإمكانك التفكير في المشاركة. نحن الطوارق نخوض حرباً قبلية منذ عام 2014. إضافة لذلك، فإننا غير ممثلين بشكلٍ كافٍ، يرجع هذا جزئياً إلى نقص الوعي السياسي وبسبب أيضاً عدم اهتمام الأحزاب السياسية بضم أشخاصٍ من مدينة أوباري إليها. عندما انتقلت للعيش في طرابلس التحقت بحزب ليبيا الأمة «ليبو»». **شابة من مدينة أوباري**

بينما ساهمت 2011 في إدخال مزيدٍ من السياسة إلى حياة الليبيين اليومية، وفي تحسين المعرفة السياسية لبضعة مشاركين ممن حاورناهم، إلا أنها لم تحسن فكرتهم عن السياسية. يعتقد غالبية المشاركين أن المشهد السياسي الحالي ليس أفضل مما كان عليه قبل اندلاع الثورة. من وجهة نظرهم، تقتصر السياسة في ليبيا على أمراء الحرب والأشخاص الفاسدين، الذين تجتمع مصالحهم على تحصيل مزيد من القوة من خلال الاستحواذ على الموارد. أثرت هذه التجربة السياسية السلبية بشكلٍ عميق على فهم المشاركين لمعنى الحكم السديد والإدارة السليمة. ولهذا، رد ثلاثة مشاركين فقط، من أصل 44 مشاركاً، بالإيجاب عندما سألناهم عن رغبتهم في أن يصبحوا نشطاء سياسيين.

«لم أفقه شيئاً في السياسة. فقد كنا مقموعين سياسياً. وحالياً أصبحت أرى أن السياسة لعبة قذرة ولهذا السبب لن أنخرط في السياسة». **شابة من مدينة القطرون**

«مع الوقت، أصبحت آرائي السياسية أكثر سلبية، لأنني أحسست أن رأيي غير مهم، ولا يهم من أدعم، لذا قررت اعتزال الأمر برمته. لا تهم طريقة تصويرهم للأمور، ولا طريقة تغييرهم للسرد، خلاصة القول هي أن ما يهمنا ويشغلنا -نحن عامة الشعب- لا يتحقق أبداً. أتذكر أنني في وقت ما كنت أكثر اهتماماً بالأمر، كان ذلك عند اندلاع أول نزاعين تقريباً، حتى نزاع 2014 على ما أعتقد». **شابة من مدينة طرابلس**

عبر مشاركون آخرون عن شعورهم بالإحساس نفسه الوارد في الاقتباس السابق. أرجع كثير ممن حاورناهم ذلك إلى شعورٍ عام باستنزاف الطاقة والجهد، فقد بات من الصعب على نحو متزايد متابعة التطورات السياسية في ظل تلك النزاعات المسلحة العنيفة وعواقبها الكارثية. وبالفعل، حتى من شاركوا في أنشطة مَدنيّة عبروا عن تزايد إحساسهم باللامبالاة بعد 2014.

المسارات الشخصية خلال النزاع: دراسة سنة 2014 باعتبارها نقطة تحول حاسمة

تعطل الخطط التعليمية والنزوح وانخفاض الفرص

بعد تحليل روايات من حاورناهم، أصبح من الجلي أن التدخل الدولي والنزاعات المسلحة اللاحقة قد أحدثت تحولات كبيرة في حياة كل المشاركين في الدراسة. أحد الأمثلة على ذلك هو أن كل من حاورناهم تقريباً غيروا مجال دراستهم بعد 2011. خلال فترة الثورة، ذكر معظم المشاركين أن خططهم تتمحور حول اختيار المجال الدراسي والجامعة، في حين قال عدد قليل للغاية منهم إن لديهم بالفعل مخططات لتكوين أسرة. إضافة لذلك، كان معظم المشاركين، بغض النظر عن نوعهم الاجتماعي، ينوون استكمال تعليمهم سعياً للحصول على وظائف في مجالات العلوم أو الهندسة. فبسبب المشهد السياسي والقيود المفروضة على دراسة العلوم الاجتماعية والسياسية قبل الثورة، كانت الأسر تفضل التحاق أبنائها بكليات العلوم الطبية والهندسة والقانون انطلاقاً من اعتقادهم أن العمل في هذه المجالات أكثر نجاحاً وأمناً. لكن في أعقاب ثورة 2011، شعر كثير من المشاركين أن خياراتهم قد اتسعت وتشعبت لتشمل مجالات اهتمام مختلفة.

«كنت أنوي -ومن في مثل سني- الالتحاق إما بكلية الطب أو كلية الهندسة. لكن هذا تغير بعد الحرب، فقد تغيرت الأمور جذرياً. وأدركت أن في إمكاني دراسة مجال يمكنني من الانخراط في الحياة السياسية أو الاجتماعية. لذا، درست الاقتصاد، أصبح من الممكن بعد 2011 أن تحلم بكثير من الفرص التي تمكنك من إحداث تأثير». **شاب من مدينة زوارة**

بصورة أعم، لم تحدث هذه التغيُّرات في تطلعات المشاركين التعليمية فحسب، بل وفي معتقداتهم الأساسية أيضاً. قال جميع من حاورناهم إن حياتهم تغيرت كلياً بسبب الحرب، وأن الصعوبات آخذة في التزايد، وأن الحياة أصبحت أكثر صعوبة بوجه عام. لم تحدث هذه التغيُّرات على الصعيد الشخصي فقط، وإنما على المستوى المجتمعي أيضاً. تحدث بعض من حاورناهم عن طريقة رؤيتهم لمجتمعاتهم المحلية باعتبارها أكثر عنفاً وعدوانيةً، في حين يرى آخرون أن المجتمع بات أكثر فساداً وأنانية.

بالنسبة للمشاركين في الدراسة، كانت 2014 سنة حاسمة، أكثر حتى من 2011. لم يكن هذا بسبب انقسام السلطة بين شرق وغرب البلاد فحسب، وإنما أيضاً العديد من النزاعات الأخرى التي اندلعت في مختلف أرجاء ليبيا. فقد دخلت البلاد في دوامة من النزاعات المختلفة بعد أعمال العنف التي أعقبت انتخابات 2014، والتي اندلع كثيرٌ منها نتيجة الإرث الطويل من التهميش والمظالم التي ظلت دون حلٍ بين فئات المجتمع الليبي. أدت هذه النزاعات إلى انقسام السلطة بين هيئات الحكم الدستورية والتنفيذية. (مجموعة الأزمات الدولية 2015)

ومن ثم، تمثل 2014 منعطفاً يشير إلى تغيُّرٍ لا رجعة فيه وفقدان الأمل في مستقبل البلاد. فبالنسبة لمعظم من حاورناهم، كانت هي السنة

التي توقفت فيها المدارس والجامعات، وانتشر فيها العنف، وغادرت فيها السفارات والشركات الأجنبية البلاد -- وفي جعبتها فرصاً محتملةً للعمل. يرسم الاقتباس التالي، المأخوذ عن مشاركة من بنغازي، صورة محزنة ومؤلمة للغاية عن كيفية انقلاب الناس على بعضهم بسبب الفوارق الملحوظة التي انتهت بإراقة الكثير من الدماء.

«غيّرت 2014 كل شيء. في أيار/مايو 2013، بدأت حرب بنغازي، توقفت المدارس وتعقدت الحياة وتغيرت تغيّراً جذرياً، وفُرض حظر تجول، ولا أحد يستطيع الذهاب للمدارس، وتوقف كل شيء. ثم بدأت الاغتيالات في الحدوث. وانتهك الناس القانون. حدث الأمر ببطء في البداية، مجرد شائعات عن أشخاص لم يقاومهم أحد، ثم بدأت عمليات القتل وكانت مروعة، كانوا يقتحمون البيوت، يقتلون الرجال ويلقون بالنساء في الشوارع. شعرت بالرعب، كان الناس يلقون باللوم على الضحايا، كان أمراً وحشياً. وأصبح العنف عادياً.

كنت أحلم أن أصبح مهندسة معمارية، لذا دائماً ما تصورت أن ليبيا ستتطور وستتغير، وأن الفرص ستزيد مع إدخال مزيد من التحسينات. كان الأمر غريباً، فلأول مرة في ليبيا نواجه شيئاً خطيراً ومرعباً مثل القصف. وهذا ليس كل شيء، فالأغرب هو أننا اعتدنا عليه. كنت أشعر بالرعب دائماً، لطالما اعتقدنا أنه يمكن في أيّ لحظة أن تخترق قذيفة البيت، أو أن شيئاً سيقع، وسيضطرنا للرحيل. مر علينا وقت كنا نجلس خلاله بكامل ثيابنا في المنزل تحسباً لحدوث أيّ شيء - وفي ذروة الأحداث في بنغازي، عندما بدأت أعمال العنف والقتل، اقترحت العائلة أن نرحل عن بنغازي لفترة قصيرة، وأن نذهب لطرابلس لبعض الوقت». **شابة من مدينة بنغازي**

«كان للعام 2014 أثر خاص على حياتي إلى الأبد. كان لي اهتمام بالموسيقى قبل ذلك العام، وكانت الحياة طيبة حينذاك. ولكن بعدها تورطت مع الميليشيات، وهم يعتقدون أن النزاع كان يسير على نحو جيد في عامَي 2014-2015، وكان لديهم نفوذ كبير، ولم يكن لديهم أي تساؤلات حوله. وكلما زاد عددهم، صارت لديهم خطط لتأسيس فصائلهم الخاصة. فهناك كثير من النزاعات الداخلية». **شاب من مدينة طرابلس**

يسلط هذا الاقتباس الضوء على التجربة المريرة التي خاضها مع العنف مَن أجرينا معهم المقابلات من بنغازي، على عكس أولئك القادمين من غرب ليبيا الذين خاضوا النزاع العنيف بكل أشكال عدوانه. فقد روى أحد عشر مشاركاً في الدراسة تجاربهم مع العنف المباشر الذي تراوَح بين الاختطاف للحصول على فدية وتلقّي تهديدات بالقتل بسبب أنشطتهم، والتعرض لإطلاق النار، والاعتقال القسري والتعذيب لبضع سنوات. وقد كانت هذه التجارب مثالاً حياً على كيفية انتشار العنف لدرجة ألا يمكن لأحد أن يشعر بالأمان.

ويعد النزوح من الموضوعات الأساسية الأخرى في مسارات الشباب خلال النزاع. فبينما أشار كثيرون ممن أجرينا معهم المقابلات إلى مصطلح «النزوح» في مرحلة ما أو غيرها نتيجة للنزاع، فإن ستة منهم ذكروا تفاصيل عن أثر هذه التجارب على حياتهم. وشمل هذا شعورهم بالاقتلاع من جذورهم وبعدم قبول المجتمعات المضيفة لهم، وعرقلة خططهم بسبب النزوح والتشريد. أما المشاركات فكنّ أكثر انفتاحاً على تذكّر هذه التجارب بتفاصيلها: فقد كانت، بالنسبة لبعضهن، وقتاً وجيزاً للابتعاد عن منازلهن، وبالنسبة لأخريات كانت سنوات [من النزوح] أعقبتها عودة إلى حياتهن المدمرة:

«كانت الحرب في العام 2014 قاسية للغاية، لأنها تسببت في تشريدنا واقتلاعنا إلى بيئة جديدة لم تكن وَدودةً تماماً. لقد قضيت ثلاث سنوات هناك، ولم نكن نلقى قبولاً، بل غالباً ما تعرضنا لمضايقات، لأنهم كانوا يرون أننا ضد القذافي بينما المجتمع المضيف داعماً له. ومن ناحية أخرى، كنا ننتظر عودتنا إلى بيوتنا، فكانت حياتنا معلقة بسبب عدم الاستقرار. ولذلك انتقلنا إلى طرابلس». **شابة من مدينة أوباري**

الأثر النفسي للحرب

يتناول نصف المقابلات تقريباً الأثر النفسي للحرب. وهذا أمر جدير بالملاحظة، نظراً لعدم وجود أسئلة في تصميم المقابلات تتناول هذه المسألة؛ بل جاء ذلك الحديث نمطاً ثابتاً يسلط الضوء على زيادة الوعي بمسألة منتشرة وسائدة ولكنها غير مُعلَنة في العديد من المجتمعات المحلية في المنطقة. وفيما اعتبر كثيرون من هؤلاء أنفسَهم يعانون من الاكتئاب، ومن القلق المستمر واضطراب ما بعد الصدمة، عبَّر آخرون عن شعور قوي بالانفصال عن بيئتهم. ولكن على الرغم من هذه الصدمة النفسية، لا يتلقّى أحد ممن أجرينا معهم المقابلات المساعدةَ أو الدعمَ المناسبين حين يتعلق الأمر بالصحة النفسية، مما جعل كثيرين يعتقدون أنهم لا مستقبل لهم في البلاد، وأنهم بحاجة إلى مغادرتها ليستطيعوا إعادة بناء أنفسهم وحياتهم.

«كان للحرب الأخيرة على طرابلس، في 2019-2020، الأثر الأقوى على صحتي النفسية وعلى أسرتي. لقد كانت شديدة الوطأة، وكان علينا الانتقال من بيتنا بسرعة وذعر، وكانت الأمور معقدة، فقد كان على المرء البقاء في مكان ما، ثم لا يدري هل يظل فيه أم يرحل. انتقلنا كثيراً، وتعرض منزلنا للقصف، وكان لدينا عجز مالي، وكنا في فزع؛ فقد كان الوضع صعباً للغاية بالنسبة لي ولأسرتي. أعتقد دائماً أن بإمكاني البقاء؛ لا أقول أبداً إنني لن أبقى، ولكن مغادرة البلاد هدف بالنسبة لي، والهجرة هدف. لا أؤمن بالاضطرار إلى البقاء في مكان واحد، فبناء الأرض هدف إنساني، ولذا أؤمن بالقيام بهذا في كل مكان. نعم أشعر بمزيد من الشغف تجاه ليبيا، فهي وطني وستظل دائماً هكذا؛ لكني حقاً أعتقد أن المغادرة هي فرصتي الوحيدة ... فالوضع الأمني والأزمة الاقتصادية هما أسوأ العقبات في طريقنا. فقد أصبحت الحياة، خاصة بعد اندلاع النزاع في 2014، أصعب منذ ذلك الحين... ولكن مع ذلك تغيرت الأمور، والشباب يعملون الآن، والنساء يعملن أكثر». **شابة من مدينة طرابلس**

«معظم الناس [هنا] لديهم أمراض نفسية وعصبية». **شاب من مدينة بنغازي**

تشكُّل مرحلة النضج في ظل النزاع: المرونة بوصفها استراتيجية في الأوضاع المتقلبة

بعد التغييرات الجذرية في حياة من حاورناهم بعد 2014، يشكل التأثير السلبي على سبيل العيش مصدر قلق سائد بينهم جميعاً. والاستراتيجية الأساسية لديهم في التجاوب مع بيئتهم غير المستقرة هي الحفاظ على المرونة، وعلى حد تعبير أحد ممَن أجرينا معهم مقابلات،

فهذه الاستراتيجية هي "التعامل مع الأمور حين تظهر، ومحاولة البقاء". على سبيل المثال، أدّى هذا بالبعض إلى العمل في عدة وظائف لدعم أسرهم وتوفير احتياجاتهم، وبالبعض الآخر إلى تغيير مجالات دراستهم، مع انتقالهم أو نزوحهم إلى مكان آخر داخل البلاد وخارجها. في الواقع، سلطت أغلبية الردود الضوء على أن العوامل الاقتصادية والشخصية لها تأثيرها على قراراتهم في الحياة. وبالنسبة لعدد قليل فقط ممن قابلناهم، لا سيما في الشرق، يُفسَّر الانخراط في الحرب ضد الإرهاب أو القتال في غرب ليبيا خلال عام 2011 على أساس أنه كان بدوافع أيديولوجية أو سياسية.

في الوقت ذاته، تضاربت الإجابات حول الفرص التي أتاحتها الحرب. إذ يرى الأشخاص الذين قابلناهم أن أولئك الذين استفادوا من الوضع هم في الغالب العاملين في السوق السوداء، أو أعضاء الميليشيات أو السياسيين الفاسدين. وبينما اتفق البعض على أن التغييرات التي أحدثتها منظمات المجتمع المدني ووجود المنظمات الدولية قد أدت إلى إتاحة بعض الفرص، فقد رأوا أيضاً أن الأمر لا يستحق هذا العناء، بالنظر لجميع التحديات والصعوبات التي جلبتها الحرب.

«لا أعرف، شخصياً مَن استفادوا من الفرص التي أتاحتها الحرب، ولكني سمعت عن أولئك الذين لم تكن لديهم التقاليد والقيود الاجتماعية نفسها ولديهم وظائف في طرابلس أو تونس. ولذا، أود القول إن القيود المفروضة عليَّ بصفتي أنثى قد ضاعفت ما كان يحدث بالفعل في الحرب. إنه نوع بطيء من الموت، لا يشبه أبدًا العنف الذي نشهده يومياً». **شابة من مدينة بنغازي**

لا يتعلَّق هذا الاقتباس السابق فقط بالعنصر الجنساني للتأثير غير المتكافئ للحرب، بل يتعلق أيضاً بأن الموقع والطبقة الاجتماعية يحدان أو يقدمان مجموعة مختلفة من الفرص للشباب لبناء حياتهم والنضج في ظل النزاع.

أما عن المستقبل، فبينما كان المشاركون في هذه الدراسة إما طلاباً أو لديهم وظائف مؤقتة، إلا أن الكثيرين منهم يطمحون للمتابعة في مرحلة التعليم العالي، ويفضلون أن يكون ذلك في الخارج. يرتبط هذا بحقيقة أن العديد من الشباب الذين أجريت معهم المقابلات قد فقدوا الأمل في مستقبل البلاد، ويريدون بناء حياتهم في مكان أكثر استقراراً. فقد أعرب اثنان منهم عما أصابهما من اليأس، قائلَين إنهما إذا لم يغادرا البلاد، فسيفكرا في إنهاء حياتَيهما. وبشكل عام، كان من الصعب على معظم الأشخاص الذين قابلناهم الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالمستقبل؛ إذ إن انعدام الاستقرار واليقين العام يجعلان من الصعب وضع الخطط المستقبلية، أو الاستمرار في متابعة الخطط السابقة، إلى الحد الذي جعل 47 شخصاً من المشاركين يقولون إنهم توقفوا عن التخطيط. لم تكن أسبابهم تتعلق فقط بنقص الفرص، بل بسبب أن النزاع يفرض الكثير من التغييرات الجذرية إلى الحد الذي لا يمكنهم معه أن يشعروا بأنهم يقفون على أرض صلبة أو آمنة عند التخطيط، فقد تفسد صروف الدهر تخطيطهم، وذلك وفقاً لتجربتهم بعد عام 2011.

«لا أستطيع إلا أن أرى نفسي أغادر ليبيا في أقرب وقت ممكن؛ لا يمكننا البقاء هنا، لا أنا ولا الشباب الآخرين... هناك الميليشيات والوضع الاقتصادي وأشياء أخرى كثيرة. لا نشعر بالقدرة على التغيير، ولا يمكننا أن نقدم أي شيء لليبيا. لهذه الأسباب نريد المغادرة «. شابة من مدينة طرابلس

«بكل صراحة، من الصعب حقاً بناء طموح في ليبيا لأن الأمور دائماً ما يكون معقدة كلما حاولت التخطيط لفعل شيء معين، لأن هناك دائماً حظاً عاثراً سيأتي على هيئة إطلاق نار عشوائي، وسيؤدي ذلك إلى تحطيم طموحك. لذلك عليك أن تكون مرناً بما يكفي للبقاء على قيد الحياة والعيش هنا، لأن عدم امتلاك طموح ليس خياراً بالنسبة لي. أعتقد أن من لا يطمحون إلى أي شيء يحمون أنفسهم [من خيبات الأمل]. من الصعب حقاً التخطيط لشيء في ليبيا. ستضع خطة وتبدأ في العمل على تحقيقها، وبعد ذلك يقع أمر سيء ويذهب كل شيء هباءً، وبعد ذلك ستصاب باليأس لفترة من الوقت، ثم ستضع خطة أخرى... وهكذا دواليك». **شاب من مدينة طرابلس**

ورداً على سؤال حول المكان الذي يرون أنفسهم فيه بعد عشر سنوات، تباينت إجابات المشاركين، فبعضهم لم يكن لديه إجابة، وآخرون قالوا إنهم سيواصلون تعليمهم أو سيكونون قد أنشؤوا أسرة أو يعملون في الخارج. وقال بعضهم إن مجتمعهم سيكون أسوأ في غضون عشر سنوات، بينما تمنى آخرون أن تتحسن الأمور، لكنهم ليسوا مفرطين في التفاؤل.

أراد المشاركون ممن أنهوا تعليمهم إما الحصول على درجات عُليا من الخارج، أو العثور على وظائف جيدة في مجالاتهم. أما من درسوا الفلسفة وغيرها من مجالات العلوم الإنسانية فكانوا متشككين حيال إمكانية العمل في مجالاتهم، وفضلوا الحصول على منحة دراسية للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه في الخارج. كانت الشروط الأساسية لتحقيق تطلعات المشاركين هي الاستقرار السياسي، وإنهاء النزاع المسلح، والإصلاح الاقتصادي، وهو ما من شأنه زيادة الفرص في جميع أنحاء البلاد.

بناء السلام: مسؤولية الدولة والمجتمع فيما يتعلق بإعادة التأهيل وتحقيق العدالة والتعايش

كما ذكرنا سابقاً، أفاد 50 شخصاً من المشاركين أنهم غيروا رأيهم بشأن العنف بعد أن عايشوا الحرب، وأما أولئك الذين لم تتغير نظرتهم فيَرَون إما أن الحرب شر لا بد منه، أو أن العنف يجب أن يقابل بالعنف. وفي حين أن هذا يُظهر وعياً استثنائياً بعواقب العنف على الأفراد والمجتمعات، فإن الإجابات تسلط الضوء أيضاً على فهم أعمق للعنف باعتباره فعلاً وعملية ديناميكية. فهم يرون أن الأفراد الذين يستمرون في إدامة العنف ويعتبرونه حلاً هم نتاج بيئتهم. ولذا، فبالنسبة للعديد ممن قابلناهم هناك حاجة لإعادة التأهيل:

«قبل عام 2011 كنت أعتقد أن العنف هو العنف الجسدي فقط، ولكني الآن أعرف أن هناك أنواعاً عديدة، مثل انتهاك حقوقك وقطع الكهرباء ورفع الأسعار. لم أفكر مطلقاً أني سأرى يوماً سلاحاً أو شخصاً يستخدمه ضد آخر، لكن في الوقت الحاضر لن تكون بأمان إذا لم يكن لديك سلاح. اليوم أنا منتهكة عاطفياً. وأنا شخصياً أعتقد أننا بحاجة إلى العنف لحل المشكلة، لأن الليبيين لا يعترفون بالطرق الأخرى». **شابة من مدينة أوباري**

«في بداية الحرب، كان عمري 15 عاماً، وفي المرة الأولى التي سمعنا فيها كلمة 'عنف'، لم يخطر ببالي سوى العنف الجسدي. لكن خلال السنوات العشر الماضية، أدركت أن العنف الجسدي لطيف إذا قورن بأنواع العنف الأخرى، مثل العنف اللفظي الذي ينهي أحياناً حياة شخص

يتعرض له. كنت أعلم أننا في حياتنا اليومية نتعرض لأنواع شتى من العنف؛ فهناك أنواع كثيرة من العنف لسنا على علم بها، ولكن لها في الواقع تأثير سلبي كبير جداً، ويجب أن نؤكد عليها ونبين خطرها ونحاول الوصول إلى حلول تقلل منها؛ لأن العنف لا يحل المشكلة، بل يمكن أن يزيد الأمر سوءاً. نعم، أعرف أشخاصاً ينخرطون في أعمال عنف، حتى ضد أطفالهم، لدرجة أنهم يستخدمون النار لمعاقبة الطفل. لذا أرى بالتأكيد أن من يعتبرون العنف حلاً بحاجة إلى إعادة تأهيل؛ وهذا الأمر ناتج عن خلفية الشخص وثقافته. فالأشخاص الذين يستخدمون العنف يميلون إلى أسهل طريقة للتعامل مع الأشياء دون محاولة التفكير وحل المشكلة بأذهانهم». **شابة من مدينة سبها**

بالإضافة إلى ما سبق، قدم المشاركون تعريفات عميقة وثاقبة لمصطلحات مثل السلام والعدالة، وهي تعريفات نابعة من تجاربهم في العيش في ظل الحرب لمدة عقد من الزمن. وقد سلطت تعريفاتهم الضوء على الترابط والتداخل بين المفهومين. فقد أجاب 59 شخصاً ممن قابلناهم بأن السلام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعايش والعدالة والتمتع بظروف معيشية أفضل. في المقابل، كانت العدالة بالنسبة لهم هي المساواة أمام القانون، واستحقاق من ارتكب الجرائم للعقاب، مما يشير إلى حاجة قوية للعدالة الانتقالية.

«عندما أفكر في السلام، أفكر في العدالة التي من شأنها أن تقضي على جميع أشكال التمييز. لأنه إذا اقتصر الأمر على توقف الحرب، فهذا نوع مؤقت من السلام. على سبيل المثال، هناك أمور مثل فرض الشريعة باعتبارها المصدر الوحيد للتشريع القانوني عندما يكون هناك أشخاص من ديانات مختلفة أو ليس لديهم ديانات، وفرض هوية عربية موحدة على الآخرين في المجتمع. وينطبق الأمر نفسه على الطوائف الدينية. يجب أن يكون هناك احترام كامل للاختلافات. إذا لم تُخفّف المظالم فسنواصل القتال». **شاب من مدينة زوارة**

«السلام هو التعايش، السلام هو مواجهة كل شيء دون قتل بعضنا البعض. السلام في الواقع يعني توقف وقوع مزيد من القتال بالأسلحة. لا أعتقد أن السلام هو عدم وجود النزاع؛ إنه بالأحرى الطريقة الصحيحة للتعامل مع النزاع». **شاب من مدينة بنغازي**

أعرب 26 شخصاً من المشاركين في المقابلات عن أفكارهم بشأن كيفية تعزيز السلام والأمن في مجتمعاتهم المحلية، وكان أشهرها زيادة الوعي حول الإصلاح والسلام، والتي يجب إدماجها في نظام التعليم. وكان هناك أيضاً تركيز على برامج إعادة التأهيل التي من شأنها معالجة الصدمات النفسية التي يعاني منها الليبيون.

«أعتقد أنني إذا كان بوسعي فعل شيء في مجتمعاتنا لتحسين التعايش أو تعزيزه، فإنني سأبدأ بحملات التوعية وجلسات الحوار المجتمعي التي تتناول قضايا مثل الاختلاف والانفتاح على مناقشة أمور تهمهم من منظورات مختلفة. وأرى أن هذه الجلسات يُمكن أن تبدأ بمواضيع صغيرة مثل الهوايات أو الأنشطة ومن ثَمَّ يمكن أن تتطور بعد ذلك إلى قضايا أكبر تتعلق بالنزاع «. شاب من مدينة زوارة

كانت المصالحة أحد الأفكار الهامة الأخرى التي شدد عليها المشاركين، مع التركيز على الحوار المفتوح الذي يتيح للمجتمعات فهم الاختلافات فيما بينها. وذكر البعض أيضاً أن تحسين فرص العمل من شأنه أن يساعد على نزع سلاح الشباب الذين ينضمون إلى الميليشيات ويقاتلون في صفوفها لأسباب اقتصادية.

«أعتقد أن أحد أهم عوامل تعزيز التعايش السلمي هو المشاركة المدنية الفعالة، والقيام بمزيد من أعمال السلام، وتشجيع الوحدة. فالحرب ليست حلاً». **شاب من مدينة بنغازي**

«لا أعتقد أننا نستطيع أن نمضي قدماً في بناء السلام؛ أعتقد أننا بحاجة إلى أن نبدأ بأشياء صغيرة مثل الخدمات التي من شأنها أن تحسن معيشة الناس، والتشجيع على إدارة الأعمال وتقديم الخدمات التي يُمكن أن تحدث فرقاً. وسيؤدي ذلك في الواقع إلى تحسين حياة الكثير من الناس، ومن ثَمَّ سيدعم السلام في نهاية المطاف». **شاب من مدينة طرابلس**

تُبين الردود بشأن السلام والعدالة أن عملية تحقيق السلام تقع على عاتق الحكومة والمجتمع على حد سواء. فقد أشار المشاركون في المقابلات إلى أن المصالحة والمساءلة والعدالة الانتقالية مسؤولية السلطات، بينما زيادة الوعي بشأن التعايش وقبول الاختلافات مسؤولية اجتماعية. ورأى معظم المشاركين أنهم يساهمون في هذه المسؤولية الاجتماعية. ورأى اثنان من المشاركين أن النزاع ليس شأناً ليبياً فحسب، بل إن هناك نفوذاً أجنبياً مباشراً، ولا بد من التصدي لهذه المسألة حتى يتسنى تحقيق السلام.

يبدو جلياً من الإجابات أن ثمة تطلع واضح ورغبة حقيقية في تحقيق المصالحة والسلام والاستقرار. والأهم من ذلك، يُعد ذلك تطوراً إيجابياً لأنه يشير إلى أن الشباب الليبي لا يختلفون في وجهات نظرهم بشأن النزاع فحسب، بل لديهم أيضاً أفكاراً وخطوات ملموسة بشأن ما يمكن أن تكون عليه عملية السلام.

زيادة مشاركة المرأة في الساحة العامة مقابل استمرار المعايير الجنسانية التقليدية

كشفت الأسئلة المتعلقة بالعلاقات بين الجنسين عن بعض الديناميات المثيرة للاهتمام في كيفية تصور كلا الجنسين للتغيرات. وبوجه عام، اعتمد التقدير الذي حظيت به هذه التغييرات إلى حد كبير على خلفية الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات: فقد نظر أصحاب وجهات النظر المحافظة إلى هذه التغييرات باعتبارها سلبية، في حين يرى أولئك الذين يعيشون في المناطق الحضرية أو الذين يعملون عادةً مع النساء أنها إيجابية. وادعى عدد قليل من المشاركين أنهم لا يتفاعلون مع النساء خارج نطاق أسرهم، وبالتالي لا يستطيعون ملاحظة أي تغييرات.

يتفق المشاركون من النساء والرجال على أن الحرب فرضت تغييراً في أدوار الجنسين. فقد زادت مشاركة النساء في العمل وبالتالي أصبح لديهن مسؤوليات أكبر داخل الأسرة، مما يتيح أيضاً قدراً أكبر من الاستقلال للمرأة وقدرة على اتخاذ القرارات والخيارات التي لا ترتبط بالتوقعات المجتمعية. ولاحظ المشاركون أن هناك تحولاً بين الأجيال فيما يتصل بهذه التغيرات: فهم ينظرون إلى النساء الأصغر سناً باعتبارهن أكثر اعتماداً على أنفسهن ويضطلعن بأدوار قيادية استباقية إذا سمح المجال بذلك. وهذا يدل على أن المعايير الاجتماعية التقييدية قد تغيرت.

«المرأة عموماً، حتى عندما يُسمح لها بالدراسة، فإنها تقتصر على وظائف المرأة، وأقصى تطلعاتها أن تتزوج ويكون لها أسرة. بيد أن هذا

الوضع تغير بعد الحرب، ولا سيما ما مررنا به خلال عمليات النزوح مما جعل المرأة تنضم إلى سوق العمل. فقد خفت القيود على المعايير الجنسانية المحافظة بسبب الحاجة إلى جميع أفراد المجتمع من الرجال والنساء. وتغيرت العلاقات بطبيعة الحال؛ فالرجال الذين كانوا يفرضون القيود على النساء في أسرهم، أصبحوا الآن أكثر تساهلاً بسبب الظروف. بالتأكيد ليس جميعهن سعداء، فالنساء ما زلن يتعرضن للمضايقات، لكن لم يعد من الممكن تقييدهن كما في السابق. لم ألاحظ في البداية إلى أن التحقت بالمدرسة، ورأيت زملائي الذكور مستائين بطريقة ما بسبب أنني شخصية مبادرة. في الطوارق من قبل، كان لدينا زيجات مختلطة بين الأعراق وكانت الأمور متساهلة ولكن في الآونة الأخيرة مع انتشار الفكر الديني المحافظ أصبحت الأمور أسوأ. وستكون الأمور أكثر اختلافاً بعد الحرب، من المستحيل العودة إلى الوراء. ثمة الآن قدر أكبر من الوعي بهذه المسألة. وأعتقد أن العديد من النساء لن يقبلن العودة إلى ما كانت عليه الأمور من قبل». **شابة من مدينة أوباري**

هذه الآراء في معظمها منتشرة بين الإناث، رغم أن التوتر المشار إليه في هذا التصريح كان واضحاً أيضاً في الإجابات التي أدلى بها المشاركون الذكور. فقد أدرك المشاركون الذكور هذه الاختلافات، وعلى وجه الخصوص المحافظين منهم، نظراً إلى أنهم يرون في كل هذه التغييرات مؤشرات على تدهور أخلاق المجتمع، وأن الشباب والشابات على حد سواء أصبحوا ماديين، وقد تخلوا عن تقاليدهم. ومن الأمثلة على هذه الاتهامات، الشباب الذين يعملون في السوق السوداء والاتجار والتهريب. ومن الأمثلة الأخرى على ذلك الشابات اللاتي يعملن في بيئات مختلطة بين الجنسين ولا يلتزمن بالقيم التقليدية نفسها كما في السابق. وأولئك الذين أعربوا عن هذه المشاعر، يأملون أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل عام 2011، دون أي إجابة واضحة أو فهم لما كان عليه ذلك.

وردت الإشارة إلى الفكر الديني المحافظ بشكل غير واضح في عدد قليل من الإجابات. وثمة تصور أن الأوساط الاجتماعية مثل الأمازيغ والطوارق، الذين لديهم قيم اجتماعية مختلفة عندما يتعلق الأمر بالمرأة، تأثرت بموجة من الفكر الديني المحافظ قبل عام 2011. ويمكن أن يرتبط ذلك أيضاً بالمشاعر المناهضة للفكر الديني المحافظ التي أشار إليها بعض المشاركين نتيجة لوجود تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا وتأثيره المدمر على جميع المجتمعات.

كشف جانب آخر من التغييرات في أدوار الجنسين كيف شكلت الصورة الذكورية هذه التغيرات. وتطرق العديد من المشاركين إلى الشباب الذين تعرضوا للضغوط والإكراه أو قُدمت إليهم حوافز للانضمام إلى الجماعات المسلحة بسبب الحالة الاقتصادية، وكذلك عدم النظر إليهم على أنهم ضعفاء وقادرون على حماية أسرهم. وأشار عدد قليل من المشاركين إلى أن التطلع إلى تلك السمات الذكورية هو ما جعل الشباب ينضمون إلى الجماعات المسلحة حتى لا يفقدوا السلطة في مجتمع يتسم بقدر كبير من السلطة الأبوية والتسلسل الهرمي.

جاء في تلك الإجابات ذاتها أيضاً أن ثمة كثير من الفتيات القاصرات اللاتي تُجبرهن عائلاتهن على الزواج المبكر، لتخفف تلك العائلات عن نفسها عبء الإنفاق عليهن وحمايتهن. ومع ذلك، فهذا بدوره يجعل الفتيات والشابات يعتمدن اعتماداً دائماً على الرجال في العائلة لحمايتهن. هذا الاختلال الوظيفي في الديناميكية الأسرية يُحقق ذاته سلبياً طالما أن «الحماة» أنفسهم قد يلقون مصرعهم على الجبهة أو يتأثرون بالحرب، مما يؤدي بدوره إلى ترك الشابات في حالة ضعف شديد نتيجة عدم إكمال تعليمهن مع توقعات ضئيلة لهن بالقدرة على إدارة شؤون منازلهن وأسرهن.

«غيرت الحرب طموحات الشباب. فبدلاً من تحقيق إنجازات في حياتهم، ينضم الشباب الآن إلى فصائل وجماعات للحصول على السلطة والزواج بالفتيات الصغيرات، القاصرات منهن على وجه التحديد. لقد أثرت الحرب على الشباب كثيراً نتيجة كل هذه السلطة والأموال. أرى تغيراً في أدوار الإناث والذكور في حالات معينة، لكني لا أستطيع تذكرها الآن واستحضارها، فالعائلات اليوم أصبحت أكثر تفككاً وحساسية. لا أعتقد أن هناك تغييراً كبيراً سيحدث بعد الحرب لا سيما مع عدم وجود رعاية وعلاج للصحة النفسية». **شاب من مدينة بنغازي**

تبرز ازدواجية عواقب الحرب مرة أخرى هنا. فبينما تغيرت أدوار الجنسين بطرق مختلفة، فإن الضغوط الناجمة عن الحرب وتوابعها سلبية للغاية. فعلى سبيل المثال، يمثل العنف القائم على أساس النوع الاجتماعي مشكلة شائعة في المجتمع. ذكرت ردود عديدة زيادة العنف الأسري، بينما تحدث آخرون عن المضايقات التي تتعرض لها النساء والفتيات في الأماكن العامة والخاصة.

«تواجه النساء صعوبات أكبر في ليبيا، ويُدفع بالشباب بصفة عامة في اتجاهات عديدة نتيجة الوضع الأمني. فإما أن تفعل ما تؤمر به، وتحصل على سلطة، وتكون واحداً منهم، أو أن تصبح عرضة للخطر. ويكافح المجتمع من أجل قبول التغيير، مع أنني أعتقد أنه قد تغير الآن أكثر من ذي قبل. لكنني لا أزال أظن أن كونك مختلفاً في مجتمعنا -أو إبداء ذلك على الأقل- يعد أمراً خطيراً، وبالنسبة للنساء فالوضع سيء حقاً ويتطلب الكثير من العمل لتغيير ذلك. أنت ترى نساء يتعرضن للإساءة والمضايقات والأذى والاعتداء وأكثر من ذلك بشكل يومي، لكن لا يوجد من يدافع عنهن، لأنه بطريقة ما دائماً ما يُلقى اللوم عليهن، فمجتمعنا لم يفعل سوى القليل من أجل دعم النساء، وحتى عندما نجد النساء يخرجن من أجل العمل والمساعدة والدعم لتحقيق التعافي للمجتمع، في أوقات مثل تلك التي نعيشها الآن، ثمة تغيير طفيف في الديناميكية المجتمعية التي يمكنها تمكين النساء من خلال هذا التغيير. لكن، مرة أخرى، لكونهن جزءاً من هذا المجتمع، فهن جزء من تلك الأفكار والصور النمطية. إنهن من مكوّنات المجتمع أيضاً، ويعملن بالفعل لإبقاء الأوضاع على حالها. ليس هناك أمان لأي شخص في ليبيا، فحيثما تذهب ثمة احتمالية دائماً أن تصبح ضحية، لكن بالنسبة للمرأة فلا يُسمح لها حتى أن تكون ضحية». **شابة من مدينة طرابلس**

يعد هذا الاقتباس المُحزِن حول مكانة النساء الليبيات في المجتمع في غاية الأهمية. فالمرأة تواجه صعوبة أكبر في تخطي أي قيود مفروضة عليها عندما ترتبط أخلاق المجتمع مباشرة باختياراتها الحياتية؛ حيث يمثل إلقاء اللوم على النساء في ليبيا ووصمهن بالعار أدوات فاعلة للسيطرة عليهن.

فقد أجاب المشاركون في الأسئلة الخاصة بالتغييرات الجارية في ديناميكيات النوع الاجتماعي بين العائلات بما يتماشى مع مستوى توتر العائلات بسبب النزاع. وبينما تحدثت المشاركات في المقابلات عن التوتر الواقع في منازلهن مع إخوانهن وآبائهن وأزواجهن الذين يحاولون تقييد حرياتهن نتيجة مخاوف أمنية، أعرب معظم المشاركين الذكور عن عدم ملاحظة أي تغيير في علاقاتهم مع الجنس الآخر.

في الختام، وفيما يتصل بالتغييرات المستقبلية في العلاقات الجنسانية، أوضح معظم المشاركين في المقابلات أن الأمور ستصبح مختلفة، لكن كان من الصعب عليهم التنبؤ بماهية هذه التغييرات. ومن المثير للاهتمام أن أولئك الذين يرغبون في عودة القيم الأكثر تقليدية في المجتمع هم بصفة عامة أولئك الذين قالوا عن أنفسهم إنهم مدنيون لم يشاركوا بأي صورة في النزاع.

خاتمة

تتزايد تحديات الحياة التي تواجه الشباب في ليبيا بصفة عامة، كما يتقهقر مستوى جودة حياتهم. وبالنسبة للكثيرين منهم، ليس هناك أي بصيص أمل في تحسن الوضع في المستقبل. هذا ليس فقط نتيجة الحرب التي استمرت عقداً من الزمن والتي عرقلت مسيرة البنية التحتية وكل أشكال الاستقرار، لكنه أيضاً نتيجة التداعيات النفسية التي خلفت وراءها الكثير من حالات التعب والاكتئاب. ويعاني الشباب في ليبيا من أجل استكمال تعليمهم، وذلك نتيجة النزاعات المسلحة المستمرة، ولكن عندما ينجحون في ذلك، لا يجدون أي فرصة عمل تلبي احتياجاتهم وتطلعاتهم.

تمنع تلك الحالة من عدم الاستقرار وعدم اليقين الشبابَ من وضع خطط طويلة الأمد أو تحديد أحلام كبيرة لا تتضمن مغادرة البلاد لأي مكان أفضل. ومع ذلك، فأولئك الذين يرغبون في مغادرة البلاد من أجل استكمال دراستهم والعودة مجدداً لليبيا، أو أولئك الذين يرغبون في البقاء في الدولة، هم جميعاً منخرطون في المشاركة المدنية أو كانت لديهم فرصة لبدء مشروعاتهم التجارية الخاصة. وهذا يوضح حاجة الشباب الملحة لإيجاد مسارات للاندماج المجتمعي والاقتصادي من أجل بناء مستقبل في ليبيا لا يزال قيد الخيال والتصور.

تأتي حالة اللامبالاة السياسية لدى بعض الشباب [المشاركين] في هذه الدراسة نتيجة فقدانهم الثقة في الهياكل السياسية والسياسيين. يتأصل جزء من هذا الأمر في الإرث الممتد من عهد القذافي، لكنه أيضاً نتيجة دور السياسة خلال العقد المنصرم. ولذا، فثمة حاجة ملحة لدعم العمليات السياسية الشفافة التي تنطوي على مشاركة الجمهور. وهناك أيضاً حاجة لتحقيق المساءلة، لإصلاح هذا الضرر. فمثول هؤلاء المسؤولين عن الجرائم عبر السنوات الماضية أمام آليات العدالة المنصفة لن يضمن فقط وضع حد للإفلات من العقاب، لكنه أيضاً سيساعد الشباب على الشعور بالانخراط في النظام دون إفساد أنفسهم.

قدم المشاركون في المقابلات جميعاً الملاحظة نفسها التي ترى أن النسيج المجتمعي في المجتمع الليبي مُزق إلى أشلاء. لم تندثر الثقة في الحكومة فحسب، بل في المجتمع ذاته. ساهم المشاركون أيضاً بأفكار تتناول رفع الوعي حول السلام والمصالحة، مع تأكيد بعضهم على الحاجة إلى إقامة حوارات مجتمعية، لا تدور فقط حول النزاع بصفة عامة، ولكن أيضاً حول القضايا الأساسية مثل التسامح وقبول الاختلافات. ويتضح من الشهادات أن ثمة حاجة ماسة للمصالحة المقترنة بإقامة العدالة. في الحقيقة، ارتبطت جميع الردود الخاصة بالسلام بنقطة وجوب تناول وعلاج قضايا العدالة في المقام الأول.

يظل مستقبل الشباب الليبي مشوباً بحالة من عدم اليقين؛ وبالرغم من جميع هذه الصعوبات، ثمة حالة من المرونة المتأصلة في زيادة الوعي والإدراك المختلف، لدى الأجيال الأكبر سناً، لما يمكن أن تكون عليه الحياة. ومع ذلك، فهناك الكثير الذي يجب عمله لتعزيز شعورهم بالاستقرار والأمن لبناء حياتهم والشعور بالانتماء والمشاركة في المجتمع.

الحواشي

-(1)- فيما يتعلق بالهشاشة وعدم الاستقرار، قد يجد الشباب أنفسَهم مستبعَدين بصورة مضاعفة: فليسوا أهدافاً لكثير من البرامج المرتكزة على الحقوق، المقدَّمة للأطفال، وهم أيضاً محدودون بالكبار الذي يقلّصون فرصَهم في المشاركة. علاوة على ذلك، فإن مساراتهم في سياقات النزاع، ولا سيما عملية الانتقال إلى مرحلة ما بعد النزاع، هي مسارات غير مستقرة على نحو واضح، نظراً لكونهم لا يحظون بوضع قائم في مرحلة ما قبل النزاع يمكنهم العودة إليه. ومع دخول الشباب مرحلة النضج في سياق النزاع، فإن استراتيجياتهم في المعيشة وتحقيق الرفاه تتشكل تماماً في إطار النزاع وتدور حوله؛ ولكن مع وقوع تحولات ونقلات سياقية، قد تصبح هذه الاستراتيجيات بالية وعتيقة، دون أن تترك بالضرورة أي طريقة واضحة للمضي قدماً.

-(2)- انظر على وجه الخصوص:
Siobhan McEvoy-Levy, "Children, Youth, and Peacebuilding" in Critical Issues in Peace and Conflict Studies: Theory, Practice, and Pedagogy, Thomas Matyok, Jessica Senehi, and Sean Bryne (eds). Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 2011.

-(3)- Interview tool, Annex I

-(4)- تصنيف المقابلات حسب الموقع الجغرافي كالتالي: ثلاث مقابلات من القطرون، وواحدة من الكفرة، وثمانية من سبها، وسبعة وعشرون من طرابلس، واثنتان من أوباري، وواحدة من الزاوية، وثلاث من زوارة. أما باقي المقابلات فلم تفصح عن هذه المعلومات.

-(5)- من الأمثلة الشائعة على ذلك بين الليبيين استيلاء الدولة على الممتلكات والأعمال خلال حقبة الثمانينيات (Ibrahim, 2016).

المراجع

Hilsum, Lindsey. 2012. Sandstorm: Libya in the Time of Revolution. New York: Penguin Press HC.

Ibrahim, Suliman. 2016. "Property Claims in Post-Gaddafi Libya: Political Debates and Justice Seeking in the Aftermath of Law 4/1978." Hague Journal on the Rule of Law 2016 9:1 9(1): 135–56. https://link.springer.com/article/10.1007/s40803-016-0046-6 (October 12, 2021).

International Crisis Group. 2015. "Libya: Getting Geneva Right." Middle East and North Africa Report 157(February). https://crisisgroup.org/middle-east-north-africa/north-africa/libya/libya-getting-geneva-right.

Landen Garland. 2012. 2011 Libyan Civil War. First Edit. White Word Publications.

"Libyans at Risk: Measuring the Daily Safety for Effective Peacebuilding in Libya - Libya | ReliefWeb." https://reliefweb.int/report/libya/libyans-risk-measuring-daily-safety-effective-peacebuilding-libya (August 28, 2021).

Romanet, Jean-Louis. 2015. "Libya's Untold Story: Civil Society Amid Chaos." Middle East Brief (93). https://www.brandeis.edu/crown/publications/meb/MEB93.pdf.

Vandewalle, Dirk. 2006. "A History of Modern Libya." A History of Modern Libya 14(4): 1–246.

مبادرة الإصلاح العربي

مبادرة الإصلاح العربي مؤسسة بحثية رائدة للبحوث الفكرية المستقلة، تقوم، وبشراكة مع خبراء من المنطقة العربية وخارجها، باقتراح برامج واقعية ومنبثقة عن المنطقة من أجل السعي إلى تحقيق تغيير ديمقراطي وعدالة اجتماعية. تقوم المبادرة بالأبحاث السياسية، وتحليل السياسات، وتقدم منبراً للأصوات المتميّزة وتلتزم في عملها بمبادئ الحرية والتعددية والمساواة بين الجنسين.

contact@arab-reform.net
باريس - بيروت - تونس